خطب الشيخ

غازي بن خلف العتيبي

البلاء



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

أما بعد:

"فإنَّ هذه الدنيا دارَ التواءٍ لا استواءٍ، ومنزلَ تَرَحٍ لا منزلَ فرحٍ، فمن فَطِنَ لها لم يفرحْ لسراء، ولم يحزن لضراء، قد جعلها اللهُ دارَ بلوى وجعلَ الآخرةَ دارَ عقبى، فجعلَ بلاءَ الدنيا لعطاءِ الآخرةِ سبباً، وجعلَ عطاءَ الآخرةِ مِن بلوى الدنيا عِوضاً، فيأخذُ ليعطي ويبتلي ليجزي"

وإنَّ مِن سننِ اللهِ الكونيةِ التي لا فِرارَ منها ولا مناصَ وقوعَ البلاءِ على المخلوقين تمحيصاً واختباراً، وتمييزاً لما انطوت عليهم أنفسُهم من صدقٍ وكذبٍ وإيمانٍ وعَطَبٍ.

﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ ﴾

ولما كانت الدنيا دارَ ممرٍ لا مقرٍ اقتضت حكمةُ اللهِ نزولَ البلاءِ بالمؤمنِ غالباً تعجيلاً لعقوبتِه في الدنيا أو رفعاً لمنزلتِه، وأمَّا غيرُه فيُعافى ويُصْرَفُ عنه البلاءُ وتؤخرُ له العقوبة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا أراد اللهُ بعبدِه خيراً عجَّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسكَ عنه بذنبه حتى يُوافَى به يومَ القيامة".

فالمؤمنُ مثلُ الزرعِ لا تزالُ الريحُ تُميلُه وتُحَرِّكُه وتُقَلِّبُه، وأمَّا المنافقُ فهو كشجرةِ الأَرُزِ لا تَهْتَزُّ ولا تضطربُ حتى تُسْتَحْصَد.

وكلمَّا كان العبدُ للهِ أمثلَ وأقربَ كان بلاؤه أعظمَ، وعاقبتُه أفضلَ وأكملَ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم" أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الصالحون ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبْتَلى الرجلُ على حَسَبِ دينِه فإن كان دينُه صُلْباً اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينِه رقةٌ ابْتُلِي على قدرِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ".

يا أيها المُبتلَى، لِمَ الجزعُ واليأسُ وفي كلِّ دارٍ مصاب، وعلى كُلِّ خدٍّ دمعٌ، وفي كل قلبٍ جُرْحٌ ولظى.

يا أيها المبتلى، لِمَ الحُزْنُ والقُنُوطُ وغيرُك يشاركُك الأحزانَ والآلامَ، فعزاؤك أنَّك في الدربِ لست وحدَك، وأنَّك لست بِدْعاً من الخَلْقِ.

يا أيها المبتلى، ليكن لك في الأنبياءِ قدوةٌ وامتثالٌ، فهذا آدمُ ابْتُلِي بإخراجِه من الجنةِ، وزكريا بالقتلِ، ويحيى بالذبحِ، وإبراهيمُ بالإحراقِ وذَبْحِ الولدِ، وأيوبُ بالمرضِ، ويونسُ بمُكْثِه في بطنِ الحوتِ.

وأما نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي- فهو إمامُ الصابرين وقدوةُ المُبْتَلَين.

للمريض فيه أسوة، وللمدين فيه أسوة، ولفاقدِ ولدِه فيه أسوة، وللمحارَبِ والمُطارَدِ فيه أسوة، وللمُتَّهَمِ في عقلِه وعرضِه ونزاهتِه فيه أسوة. " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً".

إذن... إذا رأيتَ الدنيا تُحْبَسُ عنك، والشدائدَ تتوالى عليك فاعلمْ أنَّ اللطيفَ يسلكُ بك طريقَ أنبيائه وأوليائه، وأنَّه يرعاك ويكلؤك بعينِه التي لا تنام "واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا".

عباد الله

البلاءُ سراجُ العارفين وصلاحُ المؤمنين، وهلاكُ الغافلين.

فبالبلاء تُرْفَعُ الدرجاتُ وتُحَطُّ السيئاتُ. وتُعلَمُ محبةُ اللهِ لأهلِ المصائبِ والنَّكبات إن كانوا من أهلِ الخيرِ والفلاحِ، ففي الحديث "إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم" .

بالبلاء يغبِطُك أهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ على ما تنالُه وتحوزُه من الثوابِ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَوَدُّ أهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ حينَ يُعطى أهلُ البلاءِ الثوابَ لو أنَّ جلودَهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقارِيض" .

بالبلاءِ يَلِجُ المؤمنُ بابَ التوبةِ والانكسارِ والذلِّ والاعترافِ بالتقصيرِ.

بالبلاءِ تقوى الصلةُ بينَ العبدِ وربِه، فلا يرفعُ الضرَّ إلا اللهُ، ولا يَجْلِبُ الخيرَ إلا اللهُ.

بالبلاء يَرِقُّ قلبُ المؤمنِ لأهلِ الحرمانِ والشقاءِ والفقرِ والآلامِ.

أيها المؤمنون

فما ذا بعدُ إلا الصبرُ والتسليمُ والرضا وتفويضُ الأمورِ إلى علامِ الغيوبِ، حينَها ينهالُ الثناءُ من رب السماءِ وتُستَمطَرُ الرحماتُ وتُنَالُ الهداياتُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إن ربي كان غفاراً.

الحمد لله الذي بيده النفعُ والضُرُّ، وإليه ترجعُ الأمورُ، وصلى الله على إمامِ الصابرين وقُدْوَةِ الناسِ أجمعين، أما بعد:

فلن نُعْدَمَ الخيرَ والرحمةَ ممن كَتَبَ على نفسِه الرحمةَ، ولكنْ هي أسرارٌ تَحْمِلُ مِنَحاً أحاطَ بها العليم الخبير، فكم من عطاءٍ أعقبَ منعاً، وكم من منعٍ حملَ في طياتِه خيراً، وإذا تَجَلَّى سِرُّ المنعِ صارَ المَنْعُ لُبَّ العطاءِ، وحينَ ينكشفُ مكنونُ القضاءِ يذوبُ المؤمنُ حياءً من ربِه، وفَرَحاً بما سِيقَ له من مصائبَ وأهوالٍ.

قال ابن القيم: إنَّ مِن كمالِ إحسانِ الربِّ أن يُذِيقَ عبدَه مرارةَ الكسرِ قبلَ حلاوةِ الجبرِ، ويُعَرِّفَه قَدْرَ نعمتِه عليه بأن يبتليَه بضدِّها.

عباد الله:

إذا أيقنَ المؤمنُ قُرْبَ مولاهُ منه ورعايتَه له لا يملكُ إلا أن يُفَوِّضَ الأمورَ إلى من بيدِه أمرُه، يُناديه بانكسارٍ وخضوعٍ وإقبالٍ وابتهالٍ، يُقْبِلُ على مناجاتِه وتلاوةِ كلامِه، يَفْزَعُ إلى الصلاةِ، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَه أمرٌ فَزِعَ إلى الصلاة. رواه أحمد.

يَذْرِفُ الدموعَ بين يديه ويئنُّ بشكواه إليه، كلمَّا ضاقت عليه نفسُه ودنياه لجأ إليه، وناداه يا الله... يا الله.

كلما سُدَّ بابٌ في وجهِه ازدادَ تعلُّقُه به وانكبابُه عليه.

يا أيها المبتلى: أكثرْ من الصدقةِ والاستغفارِ، وإياك وسوءَ الظنِّ بربك.

يا أيها المبتلى: أَحْسِن طرحَ حاجتِك بين يدي ربِّك، اشكُ له حالَك وهمَّك وما أَلَمَّك، أكثرْ من طرقِ بابِ المولى فإن من أكثرَ الطرقَ يُوشَكُ أن يُؤْذَنَ له.

واعلم أنَّ من مَسَّك بالضُرِ بيده الخيرُ، "وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير".

تذكرْ أنَّ بعدَ الظلامِ فجراً و مع الكَرْبِ فَرَجاً ومعَ العسرِ يسراً ومع الصبرِ نصرا.

ولــربَّ نازلــةٍ يضـيقُ بهــا الفتــى	ذرعــاً وعنــد اللهِ منهــا المخــرجُ
ضـاقت فلمَّـا استحكمت حلقاتُهـا	فُرِجَـت وكنــتُ أظنُّهــا لا تُفْـرَجُ

عباد الله...

صلوا على الرحمةِ المهداة إمامِ الأولين والآخرين محمدِ بنِ عبدِ الله فقد أمركم اللهُ بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة وبقيةِ العشرة وسائرِ الصحابة وعنا معهم إلى يوم الدين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين اللهم انصر إخواننا في أرض الشام

اللهم احفظ علينا ديننا وأمننا وولاتنا وعلماءنا

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

عباد الله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾.